

مختصر ابن كثير

104 - يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم .

105 - ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم وإنا يخص برحمته من يشاء وإنا ذو الفضل العظيم .

نهى إنا تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص - عليهم لعائن إنا - فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا يقولوا (راعنا) ويورون بالرعونة كما قال تعالى : { من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا . ليا بألسنتهم وطعنا في الدين } وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون (السام عليكم) والسام هو الموت ولهذا أمرنا أن نرد عليهم ب (وعليكم) والغرض أن إنا تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا فقال : { يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم } وقال صلى إنا عليه وسلّم : " من تشبه بقوم فهو منهم " (أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عمر Bهما) ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها .

وروي أن رجلا أتى عبد إنا بن مسعود فقال : اعهد إلي فقال : إذا سمعت إنا يقول : { يا أيها الذين آمنوا } فأرعتها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه وقال الأعمش عن خيثمة ما تقرأون في القرآن : { يا أيها الذين آمنوا } فإنه في التوراة : (يا أيها المساكين) قال ابن عباس : (راعنا) أي أرعنا سمعك وقال الضحاك : كانوا يقولون للنبي صلى إنا عليه وسلّم : أرعنا سمعك قال عطاء : كانت لغة تقولها الأنصار فنهى إنا عنها وقال أبو صخر : كان رسول إنا صلى إنا عليه وسلّم إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول : أرعنا سمعك فأعظم إنا رسوله صلى إنا عليه وسلّم أن يقال ذلك له . وقال السدي : كان رجل من اليهود من بني فينقاع يدعى (رفاعة بن زيد) يأتي النبي صلى إنا عليه وسلّم فإذا لقيه فكلمه قال : أرعني سمعك واسمع غير مسمع وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا فكان ناس منهم يقولون : اسمع غير مسمع فنهوا أن يقولوا راعنا قال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن إنا نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى إنا عليه وسلّم راعنا لأنها كلمة كرهها إنا تعالى أن يقولوها لنبيه صلى إنا عليه وسلّم وقوله تعالى

{ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم }
يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من
مشابهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين
من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى :
{ والله يخصص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم }